عنوان البرنامج: **الدراسات الاستشرافية**
الوحدة الأولى: **تعريف الدراسات المستقبلية وأهميتها ووظائفها**
الدرس الرابع: **أنواع الدراسات المستقبلية والتمييز بين التقليدي وما بعد التقليدي(2).**
اسم المحاضر: **الدكتور خالد ميار الادريسي**

أنواع الدراسات المستقبلية والتمييز بين التقليدي وما بعد التقليدي (2).

وهناك من يصنف الدراسات المستقبلية بناءا على معيار التفاؤل والتشاؤم[1]، وهكذا يمكن الحديث عن دراسات مستقبلية تفاؤلية، وهي تؤمن بمستقبل أفضل للعالم، وأنه قادر على التغلب على مشاكله ومصاعبه؛ ويتم التركيز في هذا النوع من الدراسات على القيم التي يمكن أن تؤسس لمستقبل الغد ومن ذلك مفهوم المسؤولية[2] اتجاه الأجيال القادمة.

1. محمد بن سعيد الفطيسي: مستقبل في قبضة يد، مرجع سابق، ص: 107 – 108.

ويتحدث الباحث عن ثلاث اتجاهات متفرعة عن الدراسات التشاؤمية والتفاؤلية، وهي الدراسات المستقبلية التنبؤية والدراسات المستقبلية الاستقرائية والدراسات المستقبلية الافتراضية. ويقول:

- "الدراسات المستقبلية التنبؤية، التي تكتشف من خلالها أحداث المستقبل لتعيين محطات مستقبلية ثابتة ومؤكدة يتحرك نحوها المسار المستقبلي في خط مستقيم ابتداء من حاضرنا، وهذا النوع من الدراسة يعتمد على القدرات الفردية للباحث.
- الدراسات المستقبلية الاستقرائية، التي تعتمد على استقراء الأحداث التاريخية الماضي والحاضر ورصد مسار الحركة التاريخية واتجاهها نحو المستقبل؛ لتخمين الوقائع المحتملة وكتابة التصورات (السيناريوهات) وبيان رؤاهم عما سيحدث في المستقبل لعقد أو اثنين أو ثلاثة عقود قادمة، وهذا النوع يعتمد الاستراتيجيون وهو يتطلب فريق عمل جماعي متخصصين في العلوم السياسية والاقتصادية والتربوية ونحو ذلك.
- الدراسات المستقبلية الافتراضية، التي تعتمد على افتراض المستقبل وخلق احداثه بما يلاءم الأهداف والطموحات المراد تحقيقها، هذه الدراسات تخلق مسارا افتراضيا يبدأ الحاضر وينتهي بالأهداف المراد تحقيقها في المستقبل، وهي تشبه إلى حد كبير كتابة سيناريو الفيلم يراد إخراجه على شاشة الواقع استخدام الأدوات والشخوص والامكانيات المتاحة مع التوصية بتطويرها بما يلاءم حجم ونوع الأهداف. (ص: 108).

2. انظر مجموعة من الدراسات التي أنجزت حول مسؤولية العالم اتجاه الأجيال القادمة:

Stiglitz, Joseph E. The Price of inequality : How Today's Divided Society Endangers our future. (New York : Norton, 2012).

Ernest Partridge, ed, Responsabilities to Future generations. (Promethens Books, 1980).

Wendell Bell, "why Should we care about future generation ?" in Howard Distbury, ed, The years ahead : Perils, problems, and promises. (Bethesda, Maryland : World Future Society, 1993).

أما النوع الثاني فتغلب عليه النظرة التشاؤمية، ويهتم بدراسة المخاطر الكبيرة التي يواجهها العالم[3]، ومن ذلك الفقر والتلوث والحروب والعنف واللامساواة والمخدرات والانفجار السكاني والمخاطر النووية وقضايا الهجرة والأمن الغذائي والتصحر والتقلبات المناخية والتطرف والإرهاب والخوف من تداعيات التكنولوجيا[4] وغير ذلك.

وهناك تصنيف آخر للدراسات المستقبلية بناءا على معيار الجهة التي أنجزت الدراسة، فهناك دراسات مستقبلية، تنجزها مؤسسات حكومية، من وزارات أو مراكز أبحاث تابعة لها، أو لجان وزارية متعددة، أو مؤسسة قومية مهتمة بالتخطيط، أو وكالات الاستخبارات. وهناك دراسات مستقبلية أكاديمية محضة، غير تابعة لمؤسسات حكومية. وفي الحقيقة يصعب الفصل بينهما فغالبا ما يكون البحث الأكاديمي في خدمة صناع السياسة. ولذلك فالأصل في الدراسات المستقبلية هو أنها وليدة، مختبرات البحث التي تشتغل لصالح المؤسسات الحكومية، ومن ذلك مؤسسة راند التي ساهمت في صياغة تقنية السيناريو.

ويمكن القول بأن الدراسات المستقبلية الأكاديمية، هي تلك الدراسات التي تتوخى المعرفة أولا ولا ترتبط بجدول أعمال سياسي متحكم. فالدراسات المستقبلية الأكاديمية، تنطلق من شغف المعرفة لبناء تصورات مستقبلية واقعية وقابلة للتطبيق وصالحة للبشرية. لكن هذه النظرة تبقى مثالية، لأن البحث العلمي في مجمله متحيز معرفيا وسياسيا.

والمرجو والمطلوب، هو اتفاق الباحثين في الدراسات المستقبلية على تشجيع البحث المتحرر من دوغمائية السياسة والمصالح الضيقة، لأن الوضع العالمي أصبح متشابكا مترابطا؛ وبالتالي فالتفاعلات العالمية تعني جميع ساكنة العالم.

وعموما يمكن القول بأن الدراسات المستقبلية أنواع متعددة، وتنوعها يكمن في تعددية المنظور والمناهج والرؤى والمنطلقات والأولويات والمدارس والاتجاهات الفكرية؛ ويبدو أن الدراسات ما بعد التقليدية أصبحت تحظى بمزيد من اهتمام الباحثين.

Andrew Dobson, ed, Fairness and Futurity. (oxford University Press).

Axel Gosseries, "on Future Generations, Future Right's". Journal for Political Philosophy, 2008).

3. انظر جرد شامل لأهم هذه المخاطر التي هي مجال البحث في الدراسات المستقبلية:

Virgine Raisson : 2033 Atlas des Futurs Du monde. (Robert LaFFont, Paris, 2010).

4. Bell, D. The Third Technological revolution and its possible Socio-economic consequences. (Dissent, 1989).

2. الدراسات المستقبلية ما بعد التقليدية.

إن الانتقال من التقليدي إلى ما بعد التقليدي في مجال الدراسات المستقبلية، مرتبط بالموجة العارمة للفكر ما بعد الحداثي. فالنزعة ما بعد الحداثوية[5]رامت إعادة النظر في مسلمات العقل الغربي، ودعت إلى نبذ الدوغمائية الفكرية واحتفت بالمنظورية والتفاعل بين الذوات وعمقت من النزعة الشكية وساهمت في تعرية الخطاب المعرفي والكشف عن تحيزات1 ودفاعه عن المصالح وإقصائه لثقافة المهمشين[6]. ولاشك أن الفكر ما بعد النبوي[7] وما بعد الوضعي، هو مطالبة يتجاوز المقولات والمناهج والنظرة السائدة في الدراسات المستقبلية. ولذلك فالدراسات المستقبلية المتكاملة والتي تعتبر ما بعد تقليدية بامتياز، تدعو إلى تبني تعددية المنظور وتكاملية المعارف وتعددها، ولذلك يؤكد جوزيف فوروس على كون «المستقبليات المتكاملة لا تأخذ منظورا أحاديا، بل تميز، بالأحرى عددا وافرا من الرؤى. وهي ليست محددة بأداة أو منهجية مفردة، بل إنها بالأحرى تدرك وجود تشكيلة أدوات شاملة (وهي في الحقيقة لا نهائية). وهي تقر بوجود العديد من طرق المعرفة – والعديد من النماذج والممارسات ومنهجيات طلب المعرفة – وبأن أي نموذج وحدة لا يمكن أن يعطي تفوقا مسبقا (...) وترحب دراسة المستقبليات المتكاملة بكل الأساليب الحريصة والصادقة الباحثة عن المعرفة في جميع نواحي الفعالية الإنسانية كما تتبناها وتقيمها إذا ما كانت مناسبة ووافية – بما في ذلك التحليل المنطقي والاستشراف الحدسي والإلهام الروحي».[8]

ويبدو واضحا بأن المستقبليات المتكاملة (integral Futures)، تؤمن بالأخذ من كل المعارف والتجارب والخبرات الحضارية، وعدم التقيد فقط بطرق التحليل المنطقي، بل الانفتاح على الطرق الأخرى للمعرفة ومن ذلك الحدسي والإلهام الروحي. ومن المعلوم أن الفكر الوضعي الحداثي، لا يسلم بوجود طرق للمعرفة، سوى «العقل الحداثي»، الذي من طبعه إقصاء كل الطرق والوسائل المتجاوزة لمقولات العقل الغربي.

5. انظر الكتب التالية:
   - ليوتار: الوضع ما بعد الحداثي. ترجمة أحمد حسان (دار الشرقيات، 1994).
   - روز مارغريت: ما بعد الحداثة. ترجمة احمد الشابي. (الهيئة المصرية للكتاب، 1994).
   - دافيد هارفي: حالة ما بعد الحداثة. ترجمة محمد بشير (المنظمة العربية للترجمة، 2005).
6. انظر النقد ما بعد الحداثي للثقافات السائدة وتأثير ما بعد الحداثة على العلوم الاجتماعية..

   Murphy. J. "Incidance du postmodernisme sur l'avenir des sciences sociales". Diogéne. N° 143. 1988.

   Foster, Hal, ed, The anti-aesthetic : Essay on postmodern Culture (London and New york : routledge, 1994).
7. انظر مقالة هامة لسهيل عناية الله.

   Sohail Inayatullah : Futures Studies : Theories and Methods. In www.wfsf.org.
8. ريتشارد سلوتر: المستقبليات المتكاملة، مرجع سابق، ص: 509 – 510.

وتختلف الدراسات المستقبلية النقدية عن الدراسات المستقبلية التقليدية، فالأخيرة ركزت على دراسة العالم الخارجي بينما الأولى ركزت على عالم الأفراد. ويقول «سلوتر» وقد ركز كل من الاستشراف وبناء السيناريوهات بصورة واسعة على العالم الخارجي. أما الدراسات النقدية للمستقبليات (critical Futures Studies)، فقد عالجت ما يمكن أن ندعوه بـ «الدواخل الاجتماعية». وهذا يعني أنها ارتأت ان الهيئات الخارجية للمجتمع التي درست بعناية (مثل السكان، والتكنولوجيات، البنى التحتية...الخ)، مرتكزة في عوامل اجتماعية قوية مثل المنظور إلى العالم و النماذج والقيم المتبعة، وتعتمد عليها»[9].

ويلاحظ سلوتر بأن الدراسات النقدية رغم اهتمامها بالأفراد، إلا أن ذلك لم يكن بشكل معمق ولذا فإن الدراسات المستقبلية المتكاملة، حاولت تدارك ذلك[10].

وتتسم المستقبليات النقدية، بتفكيكها للخطاب السائد حول المستقبليات وبالتالي نقد الدراسات المستقبلية التقليدية، وتعرية تحيزاتها المعرفية والسياسية والحضارية. وتستثمر المستقبليات النقدية الارث ما بعد الحداثي في تفكيك[11] الخطابات السائدة في العلوم الاجتماعية الغربية.

ويشير سهيل عناية الله[12] إلى تركيز المستقبليات النقدية على مساءلة مفهوم المستقبل وكيفية بنائه وتمثله في الخطابات، ولماذا تصبح «صياغة» معينة للمستقبل هي المهيمنة وهي المفضلة بدل صياغات أخرى؟ إن المستقبليات النقدية هي ممارسة خطابية بامتياز، أي انشغال بتشكيل الخطابات حول المستقبل، أكثر من الاهتمام بالطرق المتعددة والمناهج المتداخلة لسبر أغوار المستقبل. ولذا فالدراسات المستقبلية المتكاملة بخلاف المستقبليات النقدية، غير منحصرة في النقاش الخطابي وإنما تسعى إلى تعميق الفهم لطبيعة إدراك الأفراد للمستقبل ودورهم في تحديد صوره.

وتندرج مجموعة من الأعمال ضمن الدراسات المستقبلية المتكاملة ومن ذلك أعمال راشكوف (Douglas Rushkoff) وفوروس (J. Voros) وهايوارد (Peter Hayward) وخوسي راموس (José Ramos)[13].

9. نفسه ص: 488 وللتوسع انظر:
Richard Slaughter, "Changing Methods and Approaches in Futures studies". In Richard Slaughter, Futures beyond Dystopia : creating social Foresight, Futures and Education Series. (London. New York : Routledge Falmer 2004).

10. ريتشارد سلوتر: المستقبليات المتكاملة ص: 488.

11. Inayatullah, Sohail. "Deconstructing and reconstructing the Future" Futures 22 (2) 1990 : 115 - 141.
Inayatullah, S, "Causal Layered Analysis : Poststructuralism as method" Futures 30 (8) : 815 - 830. 1998.

12. Sohail Inayatullah : Futures Studies. Theories and Methods. op.cit. p 44.

13. انظر: سلوتر: المستقبليات المتكاملة مرجع سابق، ص: 498 – 507.

و«يقر إطار المستقبليات المتكاملة بتعقيد الأنظمة والبيئات المحيطة، والشبكات المترابطة للإدراك والفعالية. وتؤثر كل هذه في سلوكية الأفراد والمجموعات. وهي تعطي البنى والأحداث في العوالم المادية والاجتماعية والبسيكولوجية أشكالها. ويشمل الإطار منظورا تطوريا يميز طرق الوصول المختلفة الفردية والجماعية إلى البنى المختلفة للوعي»[14] كما يقول سلوتر.

وعموما فإن الدراسات المستقبلية المتكاملة هي اعتماد لتخصصات متعددة وانفتاح على رؤى متباينة وأطر تفسيرية واسعة؛ وهي تجميع لما تفرق.

ويشير سهيل عناية[15] بأن الدراسات المستقبلية، هي ذات توجه تنبؤي وأخرى ذات توجه تأويلي وأخرى ذات توجه نقدي (المستقبليات النقدية) وأخرى ذات توجه تشاركي ويوصي بالجمع بين كل هذه التوجهات.

14. نفسه، ص: 508.

15. Sohail Inayatullah : Futures Studies op.cit. p 42 . 44